خطبة صلاة الجمعة 15/ 4/ 2022 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(الإحسان إلى الخلق عند النبي ﷺ وكيف نتحلى به)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

وقال سبحانه مخاطباً نبيه محمداً ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

أخرج الإمام الترمذي عن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكم إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِني مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ: أَحَاسِنَكُم أخلاقاً**».

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**» وفي رواية البزار «**مكارم الأخلاق**».

هذه الخطبة الثامنة والعشرون في سلسلة من الخطب تناسب الزمان والاحتياج عنوانها: (أخلاق النبي ﷺ، وكيف نتحلّى بها).

وبما أننا في رمضان فقد اخترت أخلاقاً للنبي ﷺ نحتاجها في الأوقات عامة ونحن لها في رمضان أحوج، فستتحدث خطب رمضان بإذن الله عن الجود والإحسان وتقديم النفع والقناعة، تحدثت الخطبة الماضية عن الجود.

وعنوان خطبة اليوم: **الإحسان إلى الخلق عند النبي ﷺ وكيف نتحلى به.**

الإحسان لغة: ضِدُّ الإساءة، وأحسن أي جاء بفعل حسن، والإحسان إلى الخلق اصطلاحاً هو الإنعام عليهم وبذل البر لهم.

قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء، 36].

فالإحسان للوالدين ببرّهما، وطاعتهما في غير معصية الله، وإيصال الخير إليهما، وكفِّ الأذى عنهما، والدُّعاء والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما.

والإحسان للأقارب ببرّهم ورحمتهم والعطف عليهم، وفعل ما يَجْمُل فعله معهم، وترك ما يسيء إليهم.

والإحسان لليتامى بالمحافظة على أموالهم، وصيانة حقوقهم، وتأديبهم وتربيتهم بالحسنى، والعطف عليهم.

والإحسان للمساكين بسدِّ جوعتهم، وستر عورتهم، وعدم احتقارهم وازدرائهم، وعدم المساس بهم بسوء، وإيصال النَّفع إليهم بما يستطيع.

والإحسان لابن السَّبيل بقضاء حاجته، وصيانة كرامته، وعونه للعود إلى أهله، وإرشاده إن استرشد، وهدايته إن ضلَّ.

والإحسان للأجير بإتيانه أجره قبل أن يجفَّ عرقه، وبعدم تكليفه بما لا يطيق، وبصون كرامته، واحترام شخصيَّته.

والإحسان لعموم النَّاس بالتَّلطُّف معهم، وإرشاد ضالِّهم، وتعليم جاهلهم، والاعتراف بحقوقهم، وإيصال النَّفع إليهم، وكفِّ الأذى عنهم.

والإحسان لسائر مخلوقات الله بإيصال البر لها ودفع الأذى عنها استطاعته.

فمن لزم الإحسان أصابته رحمة الله في الدارين ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56] وأكرمه الله بالزيادة فيهما ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: 26].

وإذا كان حديث اليوم عن الإحسان عند النبي ﷺ وكيف نتحلى بذلك، فإليكم هذه المواقف من السنة المطهرة.

1-روى الإمام البخاري في الأدب المفرد والحاكم في مستدركه وصححه الذهبي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كان النبي ﷺ إذا أتي بالشيء يقول: اذهبوا به إلى فلانة، فإنها كانت صديقة خديجة، اذهبوا به إلى بيت فلانة، فإنها كانت تحب خديجة).

وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: «وَإِنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ فَيُهْدِي فِي خَلَائِلِهَا مِنْهَا مَا يَسَعُهُنَّ».

وروى الحاكم عنها رضي الله عنها قالت: (جاءت عجوزٌ إلى النبيّ ﷺ وهو عندي، فقال لها رسول الله ﷺ: من أنتِ؟ قالت: أنا جثَّامةُ المزنيَّة، فقال: بل أنتِ حسَّانةُ المزنيَّة، كيف أنتُم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتُم بعدنا؟ قالت: بخيرٍ بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، فلما خرجت قلتُ: يا رسول الله تُقبِلُ على هذه العجوز هذا الإقبال؟! فقال: إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإنَّ حُسْن العهد من الإيمان).

هذه صورة من صور إحسان النبي ﷺ، لقريبات زوجته السيدة خديجة وصاحباتها بعد موتها، فكيف كان إحسانه لهن في حياتها وكيف كان إحسانه ﷺ لزوجته!

2- روى الإمام أحمد عن عثمان بن عفّان رضي الله عنه في خطبة له: إنّا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ في السّفر والحضر، وكان يعود مرضاناً، ويتبع جنائزنا ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير.

إنها صورة من صور إحسان النبي ﷺ بأصحابه يواسيهم ويزورهم ويقف معهم في أحزانهم وأفراحهم.

3- كان النبيّ ﷺ أحسن النّاس تعاملاً مع جيرانه، وكان دائم الوصيّة بالجار، أخرج الإمام مسلم عن أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ»**.

وأوصى النبي ﷺ أبا ذر فقال: **«يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ»**.

وقال عليه الصلاة والسلام: **«لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَبِيتُ وَجَارُهُ إِلَى جَنْبِهِ جَائِعٌ»** [أخرجه الحاكم في مستدركه وصححه الذهبي].

فهذه صورة من صورة إحسان النبي ﷺ بجيرانه.

والحاصل – أيها الإخوة- أن الإحسان إلى الخلق كان خلق النبي ﷺ وكان معروفاً به، والمتوقع أن يكون الإحسان خلقك وأن تكون معروفاً بذلك.

- كان شاباً موفقاً في عمله متفوقاً في أدبه وخلقه، بدأ تجارته برأس مال مقبول، نماه الله له وبارك له فيه، أنشأ شركة عمل فيها مائةُ موظف، كان حريصاً على بذل البر والإحسان والمعروف لموظفيه، كان مع تحريه الربح الحلال يتحرى أن يقدم إحساناً لهؤلاء.

دعا موظفيه إلى تطوير مواهبهم، وتطوير مادتهم العلمية والعملية، كان يخضعهم لدورات متكررة في اللغة الإنكليزية وفي الإدارة وفي الموارد البشرية وفي الفقه وفي المبيعات وفي التسويق وفي الحاسب... وكل من حاز على شهادة جديدة كان يكافئه بمكافئة مجزية، كل ذلك على حسابه الشخصي، وفي أثناء الدوام تقرّباً إلى الله تعالى بتقديم البر والإحسان لعباده، شجّع من لم يحصل على الشهادة الجامعية منهم على تحصيلها، ساعد آخرين للحصول على الشهادة الثانوية، كان يقدّم لمن استطاع منهم المساعدات المالية من زكاته أو من صدقاته، وربما من هدايا إضافية، أنشأ في شركته صندوقاً للتكافل الصحي، وصندوقاً لتوفير المال، كافأ كل من امتنع عن التدخين بمكافأة مجزية، اجتهد هذا الرجل في تقديم البر والإحسان في سوقه، حتى ذاع صيته الخير بين الناس، وصار الأكفاء من الناس يحرصون على العمل لديه أو على تشغيل أبنائهم عنده.

إنَّ الإحْسَان إلى الخلق يفرح القلب ويشرح الصَّدر ويجلب النِّعم ويدفع النِّقم، ويعود على المحسن بالخيرات.

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فلطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

- كانت دارهم قريبةً من إحدى الكليات الجامعية، وكان ابنهم الكبير يدرس في تلك الكلية، اعتاد وزوجتُه في كل عام مرة أو مرتين أن يعدا غداء شهياً من طبخ سيدة المنزل ويطلبا من ابنهما أن يدعو عشرة من الطلاب القادمين من المحافظات الثانية، ممن يعرف أو لا يعرف.

يقول وزوجتُه: إن هؤلاء الطلاب بعيدون عن أهليهم ومعظم طعامهم من النواشف والطعام البسيط، فهما يحبان إكرام هؤلاء الطلاب وإدخال السرور عليهم بصنع هذا الطعام.

وهكذا كانت عادتهم في كل عام، وبعد سنوات طوال التحق ابنهم الأصغر بكلية جامعية في محافظة أخرى، وأراد الأب استئجار غرفة لولده في تلك المحافظة وكان له صديق قديم فيها، فتواصل معه يرجو

منه دلالته على المكان الأنسب والأوفر، فرحب الصديق بصديقه وأخبره أن لديه شقة إضافية فارغة وأنه سيقدمها هدية لابنه ينتفع فيها سنوات الدراسة، وهكذا كان

والعجيب أن صاحب هذه الشقة فضلاً عن تقديمه الدار هدية خمس سنوات، كان في كل أسبوع أو اثنين يأتي بطعام منزلي قد أعدته زوجته ليضيفه للابن الطالب إحساناً وإكراما.

إنَّ الإحْسَان إلى الخلق يفرح القلب ويشرح الصَّدر ويجلب النِّعم ويدفع النِّقم. ويعود على المحسن بالخيرات.

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فلطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

– خرج عبد الله بن جعفر إلى ضيعة له فنزل على نخيل قوم، فيها غلام يقوم عليها وعنده ثلاثة أقراص خبز، فدخل كلب فدنا منه فرمى إليه بقرص فأكله ثم رمى إليه بالثاني فأكله ثم بالثالث فأكله، وعبد الله ينظر إليه، فقال عبد الله: يا غلام كم قوتك اليومي؟ قال: ما رأيت قال: فلم آثرت الكلب؟ قال: لأن أرضنا ليست بأرض كلاب وأخاله قد جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده، قال فما كنتَ صانعا اليوم؟ قال أطوي يومي هذا، فقال عبد الله بن جعفر: والله إن هذا لأسخى مني فاشترى النخل والغلام وأعتقه ووهب له النخل.

إنَّ الإحْسَان إلى الخلق يفرح القلب ويشرح الصَّدر ويجلب النِّعم ويدفع النِّقم. ويعود على المحسن بالخيرات

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فلطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

أيها الأخوة:

مما يساعد على التحلي بخلق الإحسان للخلق:

أولاً: تذكر ثواب الإحسان وأنه يورث محبة الله تعالى ومحبة الخلق: فللمحسنين في الدينا حسن السمعة بين الناس، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رجل لرسول الله ﷺ: (كيف لي أن أعلم إذا أحسنت وإذا أسأت؟ قال النَّبيُّ ﷺ: إذا سمعت جيرانك يقولون: أن قد أحسنت فقد أحسنت. وإذا سمعتهم يقولون: قد أسأت، فقد أسأت) (رواه ابن ماجه وأحمد).

وللمحسنين حسن الثواب في الآخرة، أخرج البخاري ومسلم عن لرسول الله ﷺ قَالَ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى**

مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي! فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ».

ثانياً: قراءة سير أهل الإحسان وصحبتهم.

ثالثاً: بادر ببذل الإحسان استطاعتك، وكرر ذلك كلما استطعت لأن الخير عادة.

أيها الإخوة:

أكثروا من الصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ فإنه من صلى عليه صلى عليه ومن سلم عليه سلم عليه، وتدارسوا مع من حولكم حديثه ﷺ وأخلاقه، وسنته وسيرته، ليكون النبي حاضراً فينا وتكون سنته ماثلة بيننا.

﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾.

والحمد لله رب العالمين